(٣٤) الأمية

د. راغب:

تحدثنا عن عدد من القضايا والمشاكل تعاني منها الأمة الإسلامية و ولكننا طرحنا بعض الحلول، وبالطبع الحل لن يكون سهلا، فالقضايا التي تأثرت منها الأمة على مدار عقود لا يمكن أن تُحل في يوم و ليلة.

ونناقش قضية جديدة وهي من القضايا الماسة جدًا في أمتنا، فبلادنا في كل أقطار العالم الإسلامي، إلا ما رحمه الله عز وجل، تعاني من مشكلة الأمية.

هذه المشكلة في إنما هي ظاهرة ضخمة، ويكفي أن أشير إلى أن نسبة الأمية في مصر لمن هم فوق سن الـ ١٥ سنة تصل إلى ٢٩,٣%، ولو أخذنا الشريحة العمرية ما بين سن الـ ١٥ و ٢٤ عام، أي مرحلة الشباب، سنجد أن الأمية تصل إلى ١٥% في هذه المرحلة التي يفترض أنها مرحلة إنتاج وعمل وحركة وإبداع .

وعندما نقارن هذه الأرقام بالكيان الصهيوني المُسمى بإسرائيل المزروع في داخل وطننا الحبيب فلسطين، ستجد أن نسبة الأمية في من هم فوق سن ١٥ هي ٢,٩%، و نسبة الأمية في الشباب الذين بين سن ١٥ إلى ٢٤ حوالي ٠,٣%.

وهذه المقارنة والأرقام المفزعة توضح لنا مدى الأزمة التي نعيش فيها، وهناك أرقام وإحصائيات كثيرة تعرض لها الدكتور صلاح سلطان في كتابه (مخاطر الأمية).

ما هو حجم هذه الظاهرة وما مدى خطورتها على الأمة الإسلامية؟

د. صلاح:

هذه القضية تدق ناقوس الخطر الكبير في أمتنا الإسلامية، لأنه لا يُعقل أن أمة {إقرأ}، لا تقرأ.

كان تعريف الأميّة قبل سنة ٢٠٠٠ هي أمية القراءة والكتابة لجملة بسيطة، وهذا كان تعريف هيئة الأمم المتحدة، وبعدها أصبح تعريفها هو أمية الكمبيوتر.

وعن أميّة القرن الماضي، وجد أن العالَم العربي به ٩٩ مليون عربي لا يقرأ ولا يكتب من أصل ٣٠٠ مليون عربي، أي حوالي الثلث أو ٣٣% من العالم العربي!

مصر نسبة الأمية بها ٢٩,٣%، أي حوالي ١٩ مليون أُميّ لا يقرأ ولا يكتب!

وهذه تسمى كارثة بكل المقاييس، في رأيي تزيد عن الزلزال الذي حدث في مصر، تزيد عن الحرب التي دارت بين العراق و الكويت، التي أنفق فيها حوالي ٦٧١ مليار دولار إلى الحكومة الأمريكية!

ومع أن أزمة الأمية قد تحتاج إلى ٦ مليارات لإنهائها تماما وتستطيع دولة واحدة أن تنهيها، لكن الدول العربية لديها الاستعداد لتنفق في المجال العسكري ولا تنفق في المجال العلمي الذي هو الأساس!

وكما ذكرت في كتاب (مخاطر الأمية على الأمن الاجتماعي ودور الأئمة والمساجد في علاجها) هناك بلاد غير مسلمة ونسبة الأمية فيها وصلت إلى ١% منها الاتحاد السوفيتي الملحد الذي لا يؤمن أفراده بأي دين على الإطلاق!

وفي كوبا رفعوا شعار الثورة هي التربية والتربية هي الثورة، وعطَّلوا الدراسة كاملة وكل المدرسين كانوا يعملون في محو الأمية فقط، وكل الشعب التحق بدراسات محو الأمية إلى أن انتهت الأمية وصارت نسبتها صفرًا.

د. راغب:

بل ودول أمريكا الجنوبية بالكامل نسبة الأمية فيها أقل من ٢%، يشمل ذلك البرازيل والأرجنتين وشيلي وبوليفيا وحتى كولمبيا التي هي مملوءة بالمخدرات والأزمات السياسية نسبة الأمية فيها أقل من ٢% على عموم الشعب كله.

د. صلاح:

المعروف أن الأمية تؤدي إلى مخاطر عديدة جداً من نواحي شتى، وهذا الموضوع له علاقة بقضية صناعة العلماء لأن هؤلاء لم يتح لهم فرصة أن يتعلموا وممكن أن يكون أذكى من مخترع في أي مكان في العالم.

فهؤلاء لو أتيحت لهم فرصة التعليم ربما يخرج منهم نبغاء ومخترعون ومتميزون ومبدعون، وبالتالي عدم إتاحة هذه الفرصة لهم يُقلِّل من شريحة العلماء.

د. راغب:

بل أن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا أميين قبل دخول الإسلام، لكن هؤلاء الأميين عندما تعلَّموا صاروا أئمة للعالم أجمع، فكما تقول يمكن أن يكون هناك طاقات مُهدرة في هذا الثلث الّذي لا يقرأ ولا يكتب، فقد يكون منهم عباقرة يغيروا مسار التاريخ كله وليس الأمة فقط.

د. صلاح:

وبالتالي هذه فئة مظلومة ظُلمًا بينًا ويُظلَم المجتمع معهم، لأن كل الدراسات الغربية وغير الغربية توضح أن المشكلة الأساسية في هذا الأمر أن الأُميّ هو أكثر الناس استهلاكًا للمال بطريقة غير صحيحة لأنه لا يعرف كيف أن يوظف طاقاته المالية، بل وهم أكثر الناس عرضة بأن يكون مجرمًا وهذا به خطر على أمن البلد وخطر على أمن الأفراد وخطر على الزوجة والأولاد لأنّ الأميّ الّذي يتزوج أميّة مثله في الغالب لا يهتم بتربية أولاده ولا يعرف أهمية العلم فيُضيّع أجيالًا تالية وبهذا يستمر مسلسل الأمية بنفس الشكل.

فهناك أزمات كثيرة في المجتمع تساهم في صناعة التخلف بدلا من صناعة التحضر.

وهنا ألوم التيارات الإسلامية بمختلف أنواعها الذين يهتمون بقضايا من الفروع وليست من الأولويات، ولم يتحالفوا لحل القضايا المصيرية مثل هذا الأخطبوط أو السرطان الثلاثي كما يسميه الباحثون سرطان العالم العربي، الأمية والفقر والمرض.

نحن أمام مخاطر كبيرة جداً على المجتمع في الحاضر والمستقبل بسبب قضية الأمية، فلو أن الجماعات الإسلامية وضعوا مشروعًا لمحو الأمية، سيكون في عداد الجانب الأمني وقد يُفتح لهم الأبواب.

ولدينا تجارب ناجحة مثل التجربة المغربية سنة ٢٠٠٥، عندما بدأوا بألف مسجد ليعلمون الناس، لأن الناس لم تكن تستجيب للذهاب إلى المدارس، وفي عام ٢٠١٠ ووصلوا إلى ٢٥٠٠ مسجد يعلمون الأميين، وكانت النساء تذهبن في وقت الصباح والرجال في المساء، وبدأ حبّ الناس للمساجد يزيد، وكانت نسبة النجاح في هذه المعاهد من خلال المساجد أكبر بكثير جدًا من أي نسبة في أماكن أخرى.

وهنا أذكر أن ثلثين الأمية في العالم العربي هم من النساء، فالأم الأميّة كيف لها أن تُحسِن تربية أولادها،

إن اليتيم هو الذي تلقى له *** أمّا تخلّت أو أباً مشغولاً

وهناك أكثر من ١٠ مليون طفل في العالم العربي فقط لا يقرؤون ولا يكتبون!

في فلسطين المنكوبة والتي تعاني من غلق المدارس وقتل الطلاب تجد نسبة الأمية لديهم لا تزيد عن ٣%، وهذا عارٌ على البلاد العربية والإسلامية الكبرى التي تصل نسبة الأمية بها إلى أكثر من ٣٩%!

المجتمع الواحد الناهض لا يقبل أن يكون جاهلًا ولا يقبل أن يكون عالة على الأمة.

د. راغب:

أريد أن أوسع الدائرة أكثر، وأقول أن حل مشكلة الأميّة ليست مهمة الجماعات والتيارات الإسلامية ولكنها مهمة شعبية حتى يساعد الجميع في حل هذه المشكلة.

كان لي أحد الأصدقاء عندما سمع محاضرة عن الأمية ومخاطرها جاءته الحميَّة أن يعلم اثنان من حارسي العمارات في منطقته، وفي خلال شهرين أصبحوا محسنين للقراءة والكتابة.

ومن مخاطر الأمية الكبيرة جداً أن هذا الأميّ لا يمسك المصحف، ومن يُعلمه القراءة والكتابة فقط بنية أن يقرأ القرآن فله في كل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، تخيل مدى الحسنات التي سيحصل عليها، بل أن هذا الأمي لا يقرأ حديثاً للحبيب صلى الله عليه و سلم ولا يفتح كتاباً في الشريعة وبالتالي أصبح معزولًا عن الدين، ولا يستطيع قراءة أخبار بلده بل وفي وقت الإنتخابات يضعون له الرموز لأنه لا يعرف القراءة!

د. صلاح:

ومن هنا فنحن لا نريد أبدًا لأبنائنا وبناتنا أن يكونوا موضع سخرية من الآخرين.

د. راغب:

بهذا ندعو الاقتصاديين وأصحاب الخير ورجال الأعمال إلى الإنفاق في مثل هذا الوجه واعتباره من باب في سبيل الله بل ومن الزكاة وليس فقط من الصدقة، وأن يتبنوا مشروعات كبرى تنتشر في القرى والمحافظات وفي كل مكان لتعليم الأميين، وتكون مهمة الأمة كاملا لتعليم كل الأميين القراءة والكتابة مثلما فعلت كوبا.

هل يجوز الصرف على ذلك من الزكاة؟

د. صلاح:

لا حرج في ذلك خاصة إن كان أكثرهم من الفقراء.

د. راغب:

أقترح أيضاً على الإخوة الذين أكرمهم الله سبحانه وتعالى بالمال وليس لديهم الوقت الكافي لتعليم الأميين، أن يأتوا بمدرسين ليعلموا مثل هؤلاء في مقابل مبلغ مادي يدفعوه لهم، لو هذه الحركة في المجتمع تحققت أتوقع أن الأمية تندثر، فلسنا أقل من كوبا أو بوليفيا او كولمبيا ولا أقل من أي دولة في العالم، نحن أعلى من الجميع بإسلامنا.

د. صلاح:

إذا وُجِدَتّ الإدارة القوية والإرادة السوية والانطلاقة الفتية سنتغير، فأساس هذه المشكلة هو الإرادة وأن يكون لدى الناس الشعور بأن هذه أزمة يجب أن تتغير وإنهاءها بين أبناء الأمة الإسلامية، وأدعو أن ينتدب كل إنسان نفسه في العمل التطوعي لمحو الأمية.

د. راغب:

إذا فالقضية قضية شعبية وعلى الجميع التحرك فيها.

نريد تعليق سريع على قول الحبيب صلى الله عليه و سلم: «إنَّا أمةٌ أميةٌ...»

الراوي: عبدالله بن عمر -المحدث: البخاري

المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: ١٩١٣

خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

د. صلاح:

هذا كان قبل البعثة، لكن بعدها أول ما نزَلَ عليه من القرآن كان: {إقرأ}، ثم أمرٌ بالكتابة في السورة الثانية، ثم جاءت مادة العلم وحدها ١٦٥ مرة في القرآن.

فهو كان يقرر حالة ولا يصف صفة لازمة للامة.

وقريبا سأقوم بالبحث عن (النصوص الشرعية بين الوصفية والمعيارية)، لأن البعض أخذ النص الوصفي وجعله نص معياري، فنحن "أمة الأمية" هذا وصف إنما {اقْرَأْ} هذا هو المعيار الذي يجب أن تصل إليه وليس من الممكن أن يصبح الوصف معياراً.

وكما في قوله: {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة: ٢١٧].

فهم إن كانوا يحاربوننا لنرتد عن ديننا وهذا وصف لهم، لكن المعيار هو أننا لا يمكن أن نحاربهم ليكونوا مسلمين بالإكراه كما قال الله تعالى: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة :٢٥٦].

فأمة أمية) هذا وصف للواقع وحالة كانت موجودة أيام الصحابة، وإن كانوا وقتها أميين في القراءة والكتابة إلا أنهم كانوا بُلغاء في الفصاحة والبيان، أما نحن الآن فليس لدينا لا قراءة ولا كتابة والكثير لا يعرف اللغة الفصحى ولا بيت شعر، بل أن هناك البعض يكون في مواقع ذات مسؤولية كبيرة ولا يعرفون اللغة العربية الصحيحة.

د. راغب:

كما رأيتم القضية خطيرة وأنا أقول أن الأمة إذا ارتفعت بهمتها، تستطيع أن تخرج من أزمتها مهما صعبت الظروف وضاقت عليها السبل.

وأخيرا نُذَكّركم أن دولة الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر والحكم بن عبد الرحمن الناصر الّذيم حكموا من سنة ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ ، أي منذ ألف عام، كان في كل بلاد الأندلس ليس هناك أميّ واحد لا من الرجال ولا من النساء بإمكانيات الزمن القديم، ونحن لا عذر لنا في هذا الموضوع في زماننا الآن.